العرب
الخميس 2020/02/20
السنة 42 العدد 11623

صناع الدراما التونسية يستمرئون النجاح ويلجأون إلى الأجزاء

الكوميديا تنتعش أحيانا.. والإطالة تقود إلى فشل حتمي للدراما

قليلة هي المسلسلات التونسية التي تتابعت أجزاؤها بنفس النجاح الذي عرفه السيتكوم الكوميدي "شوفلي حل" بمواسمه الستة، والتي لا تزال تعرضها قناة "الوطنية 2" بشكل يومي منذ أزيد من خمس سنوات مُتعاقبة. فهل هو الاستثناء التونسي في مجال الدراما التونسية، رغم تكرّر تجارب المسلسلات الأجزاء بالبلد في العشرية الأخيرة؟

«أولاد مفيدة» تعاقبت أجزاؤه من دون مبرر

صابر بن عامر
صحافي تونسي

تونس – أعلن المخرج التونسي عبدالحميد بوشناق أخيرا انطلاقه في تصوير الجزء الثاني من مسلسل "نوبة" الذي لاقى نجاحا جماهيريا كبيرا في رمضان 2019، وهو المسلسل الذي يغوص في عالم "المزود" وفنانيه (آلة نفخ شعبية)، حيث يتقاطع فيه الكوميدي بالتراجيدي وتتفرّع فيه الحكايات بين الخيانة والغدر والأمل والألم والحب والكره.

مسلسل أجمع النقاد والمُشاهدون على تميّزه نصا وإخراجا وتمثيلا، فبات "نوبة 2" مطلبا جماهيريا، حيث تواترت التغريدات على مواقع التواصل الاجتماعي مُطالبة مُخرجه الشاب كي ينجز جزءا ثانيا منه.

فهل تضمن دعوات الجماهير لبوشناق كي يستكمل تجربة "نوبة" النجاح لمسلسل كتبه خصيصا فريق من الممثلين الشبان (هم نجوم المسلسل)، ليكون صالحا للعرض في موسم واحد لا أكثر، حيث بدايته واضحة وعقدته مُكتملة ونهايته معلومة؟ سؤال لن يجيبنا عنه إلاّ كمّ الإعلانات التي سيوفّرها المسلسل لداعميه إن كُتب له النجاح من عدمه.

نجاح نسبي

عرفت الدراما التونسية في أواسط التسعينات أول ظهور لما يصطلح على تسميته بالمسلسلات الأجزاء، من خلال مسلسل "الخطاب على الباب" الذي أتى في جزأين (عرض في رمضان 1996 و1997)، وهو المسلسل الاجتماعي الكوميدي الذي عرف نجاحا جماهيريا غير مسبوق أيامها.

وتعود أسباب هذا النجاح لعاملين أساسيين، أولهما قوة السيناريو الذي صاغه بطريقة شاعرية لا تخلو من طرافة، السيناريست والشاعر علي اللواتي، الذي توفّق في الجمع بين تناقضات المجتمع التونسي في مسلسل واحد دون أن تسقط المعالجة الدرامية في الإسفاف والضحك المجاني.

كانت شخصية الطالب أحمد (قام بالدور نجيب بلقاضي) في تماس حميمي مع شخصية عبودة (رياض النهدي) البسيط والساذج، وكذلك الأمر مع شخصية سطيّش (فيصل بالزين) المُتبنى من عائلة الشاذلي التمار (رؤوف بن عمر) الأرستقراطية، التي تتعامل معه وكأنه واحد من أبنائها، علاوة على شخصية الشيخ تحيفة (عبدالحميد بن قياس) الشيخ المتصابي الذي أجّج الهوى قلبه من جانب واحد، فهام عشقا في المعينة المنزلية لآل التمار حدّة (نعيمة الجاني).

من هناك، أتت الشخصيات قريبة من العائلة التونسية البسيطة، فنجح المسلسل، وبات حديث الشارع التونسي في ليالي السمر الرمضاني، وهي الخصلة الثانية للعمل الذي تروي أحداثه أجواء الأحياء العتيقة للعاصمة تونس، خاصة في شهر رمضان وما يدور في الأزقة من شدّ وجذب بين الجيران/ العائلة الموسعة للحارة التي يسودها السلم والتكاتف، وإن اختلف أهلها أحيانا، بل ودائما.

هذه النوستالجيا للمكان والزمان والشخصيات البسيطة والأجواء الرمضانية بنفحاتها التونسية المخصوصة لأهل البلد المُتحابب والمُتآزر إلى حدّ مُبالغ فيه، أحيانا، جعلت "الخطاب على الباب" يُعاد بثّه إلى الآن على قناتي "الوطنية1" و"الوطنية2" (عموميتان)، شأنه في ذلك شأن السيتكوم الكوميدي "شوفلي حل" الذي تفرّغت "الوطنية 2" إلى إعادة بثه بشكل يومي في ذروة المُشاهدة التلفزيونية، وذلك منذ ما يزيد عن خمسة أعوام مُتعاقبة.

تتالت المسلسلات الأجزاء في تونس بعد النجاح الذي حقّقه كل من مسلسل "الخطاب على الباب" بجزأيه، وسيتكوم "شوفلي حل" بمواسمه الستة المُتعاقبة من 2005 وحتى 2009، خاصة في المجال الكوميدي. فظهرت سيتكومات جديدة حاولت استنساخ نجاح "شوفلي حل" الذي لم يفقد على مدار أزيد من عقد عرشه، رغم تتالي المُحاولات بين أعمال جادة وأخرى هزيلة، وما أكثرها.

والقائمة هنا تحيلنا، على سبيل الذكر لا الحصر، إلى "نسيبتي العزيزة" بأجزائه الثمانية، وهو أطول مسلسل أجزاء تونسي على الإطلاق بـ143 حلقة، و"بوليس حالة عادية" بأجزائه الثلاثة، و"دنيا أخرى" بأجزائه الثلاثة، أيضا، وفي جزأين كل من "سكول" و"بنت أمها" و"هابي ناس".

وإن نجح "بوليس حالة عادية" عبر طرحه الإخراجي المتطوّر واعتماده على كوميديا الموقف، وبنسبة أقل "نسيبتي العزيزة" عبر الأداء الكوميدي المُبتكر لبعض ممثليه، فإن بقية المسلسلات سقطت في الابتذال والسطحية، مع اجترار بعض التغريدات التي يُبدعها المواطن التونسي على مواقع التواصل الاجتماعي.

عقدة التمطيط

على الجانب الآخر، أي في المجال الدرامي، عرفت المسلسلات الأجزاء في تونس ذروتها مع المسلسل الاجتماعي "مكتوب" بأجزائه الأربعة (بين سنوات 2008 و2014)، والذي سبّب عرضه انقساما في الشارع التونسي بين مؤيد ومعارض لهذه النوعية من المسلسلات، وهو الذي تناول بشكل جريء لم يتعوّده المُشاهد التونسي، قضايا اجتماعية مسكوتا عنها، كقضية التمييز العنصري والإنجاب خارج إطار الزواج والخيانة الزوجية داخل الأسرة الواحدة وغيرها من المواضيع المحظورة في المجتمعات العربية الإسلامية.

الأمر ذاته انسحب على مسلسل "نجوم الليل" بأجزائه الأربعة، أيضا، وهو المسلسل الذي بثته قناة "حنبعل" الخاصة بين سنوات 2009 و2013. مسلسل يسرد حرب قيم طاحنة تدور بين طبقتين من المجتمع التونسي تختلفان تماما. الأولى هي الطبقة البرجوازية المتورطة في أعمال غير قانونية مثل المخدرات والجنس والتحيّل. تدخل في صراع مع الطبقة الفقيرة والمهمشة، هي الطبقة الثانية، أو الطبقة الأدنى، والتي تدافع عن مبادئها مثل الشرف والصدق والتضامن.

وقد لاقى "نجوم الليل" في جزأيه الأولين خاصة، نجاحا جماهيريا كبيرا، وعرف نسب مشاهدة عالية، قبل أن يسقط في التمطيط والإسقاطات غير المبرّرة للأحداث والشخصيات على حد السواء.

> تكررت في العشرية الأخيرة تجربة المسلسلات الأجزاء بشقيها الكوميدي والتراجيدي، من دون أي مبرر درامي يجيز استمرارها

وفي مجال الدراما الاجتماعية أيضا، عُرض مسلسل "ناعورة الهواء" في جزأين، حيث تفوّق جزؤه الأول بشكل كبير وواضح على جزئه الثاني، الذي أراد أن يُعالج قضايا الفساد الإعلامي والسياسي الذي نخر تونس بعد ثورة 14 يناير 2011، فأهمل قضيته الرئيسية في جزئه الأول، والمتمثلة في الاتجار بالأعضاء، فأتت أحداث جزئه الثاني مُسقطة ممّا أربك المُعالجة الدرامية أصلا، فتاه المسلسل في موجة العنف والثأر دون جديد يُذكر.

هو نوع من استسهال النجاح تمليه سوق الإعلانات والإشهار والداعمين على صناع الدراما الموسمية في تونس، فيركبون موجة الأجزاء تفاديا للخوض في مُغامرة جديدة غير مضمونة العواقب. وهو الذي حصل، تماما، مع المخرج سامي الفهري في الموسم الرمضاني 2018، حين غامر بإنتاج ضخم تمثل في المسلسل التاريخي "تاج الحاضرة" الذي أجمع النقاد على جودته وجدّته، لكنه في المقابل لم يحظ بالمتابعة الجماهيرية المنتظرة.

ومن هناك عاد سامي الفهري إلى حصانه الرابح "أولاد مفيدة" لينجز جزءا رابعا منه، مرّ مرور الكرام، دون أن يترك أي أثر لدى المُشاهد التونسي الذي شدّته عقدة المسلسل في أجزائه الثلاثة الأولى، عقدة أساسها سؤال، من هو ابن سي الشريف (هشام رستم) بين أبناء "مفيدة" الثلاثة، بدر أم بيرم أم إبراهيم؟ وحين قتل بدر أباه في آخر حلقة من الجزء الثالث، انتهت الحكاية، وانكشفت العقدة وانفضّ المجلس، فما الداعي من إنجاز جزء رابع، سيعقبه في رمضان المُرتقب جزء خامس؟

و"أولاد مفيدة" يروي منذ جزئه الأول قصّة أرملة لها ثلاثة أولاد، هي مفيدة (وحيدة الدريدي) التي يعود عشيقها من هجرته بعد عشرين عاما، ليطالبها بمعرفة أي من أبنائها الثلاثة هو ابنه، وهو الذي كان يعلم بحكم صداقته بزوجها السكير، أنها حامل منه، لكن الأم تمتنع عن إخباره بالحقيقة.

«نوبة» مغامرة جديدة غير مضمونة العواقب

«السياسة والتنوع» عنوان مهرجان برلين السينمائي

تنطلق مساء الخميس، فعاليات الدورة الـ70 من مهرجان برلين السينمائي الدولي، وسط أجواء قاتمة بعد أن قرّرت إدارة المهرجان منح جائزة استثنائية هذا العام، عبارة عن دب فضي، مكان جائزة ألفريد باور، أول رئيس للمهرجان بعد الحرب العالمية، وذلك إثر كشف ماضيه النازي.

برلين – أراد مهرجان برلين السينمائي الدولي في دورته السبعين التي تنطلق، مساء الخميس، التركيز على التنوع. وهو جدل يعصف بأوساط السينما، مع مشاركة مخرجات وأفلام سياسية وأعمال من مناطق مختلفة من العالم.

فبعد حفلتي جوائز بافتا البريطانية وأوسكار الأميركية اللتين تعرضتا للانتقادات جراء عدم اختيار مخرجات وفنانين سود، تعهّد مهرجان برلين، وهو أول مهرجان سينمائي أوروبي يقام هذه السنة قبل كان وفينيسيا، الاهتمام بهذا الموضوع.

وقال كارلو شاتريان الذي يدير المهرجان مع الهولندية ماريت ريسينبيك "أطمح إلى توفير منصة للأفلام، نريد أن نخصّص مساحة للتنوع في الفن السابع". وحل هذا الثنائي مكان الألماني ديتر كوسليك الذي أمضى 18 عاما على رأس مهرجان برلين.

وقد اختير 340 فيلما هذه السنة من بينها 37.9 في المئة من إخراج نساء. ومن أصل 18 فيلما مشاركا في المسابقة الرسمية لنيل جائزة الدب الذهبي، ستة أعمال من إخراج نساء أو أن النساء ساعدن في إخراجها.

وهذا العدد أقل من تمثيل النساء القياسي العام الماضي الذي بلغ نسبة 45 في المئة، إلاّ أنه أعلى من ذلك المسجل في مهرجانَي كان وفينيسيا اللذين رشحا مخرجتين فقط في دورتهما للعام 2019 من أصل 21 فيلما في المسابقة الرسمية.

وفي خضم الجدل حول التمييز الجنسي وضعف التمثيل، وقّع مهرجان برلين العام الماضي ميثاقا من أجل المساواة بين الرجال والنساء على غرار مهرجانات كبيرة أخرى.

وقال مدير المهرجان الجديد كارلو شاتريان عند تقديم الأفلام المختارة نهاية يناير الماضي "ستة أفلام لا تعني المساواة، إلاّ أننا على الطريق الصحيح لتحقيق ذلك".

ومن بين هذه الأعمال الفيلم الأخير للأميركية كيلي رايكارت "فيرست كاو" وهي من الأسماء البارزة في السينما المستقلة، وفيلم البريطانية سالي بوتر "ذي رودز نوت تايكن" من بطولة خافيير باردیم وإيل فانينغ وسلمى حايك. وسيكرم المهرجان أيضا الممثلة البريطانية هيلين ميرين بمنحها جائزة فخرية.

ومن المحطات الرئيسية المرتقبة في المهرجان السياسي بامتياز، حضور هيلاري كلينتون، وهي محور فيلم وثائقي بأجزاء عدة، فضلا عن كايت بلانشيت إحدى شخصيات حركة "تايمز آب" التي تشكلت في سياق حركة "مي تو" للدفاع عن النساء في أوساط السينما والفن.

وعلى صعيد الأفلام، سيعرض المخرج الأوكراني أوليغ سينتسوف الذي سجن مدة خمس سنوات فيلم "نامبرز" المستوحى من تجربة سجنه في روسيا.

ويتنافس على جائزة الدب الذهبي أيضا الفيلم الأخير للإيراني محمد رسولوف الممنوع من مغادرة إيران، وهو بعنوان "لا وجود للشر" (ذير إز نو إيفيل)، وفيلم "كل الموتى" (تودوس أوس مورتوس) البرازيلي حول العبودية، ووثائقي بعنوان "إيراديتد" من إخراج ريتي بان الذي يكرّس أعماله لمجازر الإبادة الكمبودية.

وأوضح مدير المهرجان "سيطرة الأجواء القاتمة عائدة ربما إلى أن الأفلام التي اخترناها تميل إلى النظر إلى الواقع من دون أي أوهام، ليس لإثارة الخوف، بل لأنها تريد أن تفتح عيوننا".

ويمنح المهرجان هذه السنة استثنائيا جائزة دب فضي للاحتفاء بالذكرى السبعين للمهرجان، مكان جائزة ألفريد باور، وهو مدير سابق لمهرجان برلين.

وتأتي هذه الخطوة بعد أن قرّرت إدارة المهرجان تعليق منح الجائزة التي تحمل اسم ألفريد باور، أول رئيس للمهرجان بعد الحرب العالمية، وذلك في أعقاب ظهور اتهامات ضده بأنه صاحب تاريخ نازي.

وكان قد تم الكشف عن التاريخ النازي لباور (1986–1911) في مقال لصحيفة "تسايت" الألمانية قبل فترة قصيرة من انطلاق فعاليات المهرجان (20 فبراير حتى الأول من مارس).

وذكرت الصحيفة أن باور كان "قياديا رفيع المستوى في القطاع السينمائي النازي"، حيث قالت إنه كان يعمل في إدارة أفلام الرايخ، وأنه تكتم لاحقا عن دوره هذا.

جائزة فخرية للممثلة البريطانية هيلين ميرين

وكلفت إدارة المهرجان معهد التاريخ المعاصر "آي.أف.زد" في ميونخ بمعالجة ماضي باور، وقالت ماريته ريسنبيك، الرئيسة التنفيذية للبرلينالة "نحن على قناعة بأن بحث موقف ألفريد باور في جهاز السلطة النازي، لا بد أن يتم عن طريق مجموعة خارجية ومستقلة من المؤرخين".

وكان قد تم تأسيس المعهد في عام 1949 للدراسات العلمية في الدكتاتورية النازية، وقد افتتح المعهد إلى جانب مقره في ميونخ، قسما للبحث في العاصمة برلين منذ التسعينات.

وتجدر الإشارة إلى أن باور تولى رئاسة مهرجان برلين في الفترة بين 1951 حتى 1976، وبدأ المهرجان في منح الجائزة التي تحمل اسمه منذ عام 1987 كتكريم خاص للمبدعين في مجال صناعة السينما.

وتعود إلى لجنة التحكيم الجديدة لمهرجان برلين في دورته الحالية التي يرأسها جيريمي آيرنز مهمة اختيار الفائز بجائزة الدب الذهبي في 29 فبراير الجاري. وستُعاون الممثل البريطاني الشهير في هذه المهمة خصوصا الممثلة الفرنسية بيرينس بيجو والإيطالي لوكا مارينيلي والسينمائي الأميركي كينيث لونرغان والبرازيلي كليبر مندونسا فيليو.